عرض ندوة
تسعون عاما على ثورة ١٩١٩

راضي محمد جودة

تحت رعاية السيد فاروق حسني – وزير الثقافة– أقامت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ندوتها السنوية بالاشتراك مع المجلس الأعلى للثقافة والتي كانت بعنوان "تسعون عاما على ثورة ١٩١٩" في الفترة من ١٠– ١٢ مارس ٢٠٠٩، وقد شارك في هذه الندوة عدد كبير من المؤرخين والمهتمين بالتاريخ. وفيما يلي نعرض لأهم الأوراق البحثية التي شاركت في الندوة:

١- د. محمد عزيز: الدوافع الذاتية للقوى الاجتماعية لثورة ١٩١٩:

وذكر فيها أن القوى الاجتماعية في مصر شاركت بدور أساسي في أحداث ثورة سنة ١٩١٩، ولكن كانت هناك أسباب مختلفة وراء كل قوة اجتماعية منها. فالجميع في مصر كانوا يأملون في التغيير، ولكنهم كانوا يختلفون في نتائج هذا التغيير والمكاسب التي ستعود على كل منهم من جراء تلك المشاركة. كانت طبقة العمال تسعى إلى تحسين شروط العمل، وإلى إحياء تنظيماتها النقابية.

أما عن دور الفلاحين في الثورة، فقد كانوا بحق الطبقة المسحوقة في المجتمع والتي لم تتمتع بأية حقوق. حيث كان الفلاح المصري لا يملك الأراضي في معظم القرى المصرية، ويعملون في أراضي كبار الملاك، أجراء بالكاد يحصلون على قوت يومهم، وكانت الضرائب شديدة على الفلاحين، وكان البعض يعمل في الأراضي نظير جزء من المحصول أو أجر ضئيل، وقد بلغت الضرائب ثلث الأجر، وكانت تفرض على الفلاحين ضرائب شخصية تتراوح قيمتها ما بين عشرة أيام أو خمسة عشر يوما.

أما عن طبقة الموظفين، فعلى الرغم من استجابة الموظفين لتلبية نداء الثورة للمشاركة فيها، فإن تلك المشاركة قد جاءت متأخرة. إلا أنهم وبلا شك كانوا يمثلون الفئة المثقفة في قيادات الثورة. وكان يقع على أكتافها عبء التخطيط، وقيادة تلك الثورة. فإلى جانب دور هذه الطبقة الوطني فإنها أيضا كانت تعاني من مزاحمة الموظفين الأجانب لها، والتي كانت تغلق الباب أمامها، كما أن الموظفين كانوا يعانون من ضعف دخولهم.

ومن هنا جاءت مشاركتهم في الثورة، ليس بدافع العمل الوطني فحسب وإنما أيضا لتحقيق رغباتهم الذاتية وتحسين أوضاعهم والفوز بأكبر قدر من المكاسب الخاصة بهم.

٢– محمد يوسف: محمد فريد.. المناضل الوطني.. المظلوم والمنسي!!:

يعتبر الزعيم الوطني محمد فريد، أكبر مثل للظلم والنسيان بين الزعامات الوطنية في تاريخ مصر في العصر الحديث. فإذا كان التاريخ يعتبر جمال عبد الناصر هو الذي حقق ملكية مصر لقناة السويس لأول مرة منذ حفرها، فإنه أيضا يعتبر محمد فريد هو الذي قاوم وناضل وضحى بكل ما يملك، لكي يمنع جريمة تمدد امتياز "بيع قناة السويس في جسد مصر أربعين سنة أخرى بعد انتهاء مدتها الأولى عام ١٩٦٨.. كما أن التاريخ يعتبره أيضا صاحب الإرهاص الأول لثورة الشعب في مارس ١٩١٩.. لقد فعل ذلك جهارا نهارا بينما ساحة المشهد السياسي في مصر عام ١٩٠٩ كان يربض عليها احتلال أجنبي مباشر، وملك أجنبي فاسد، وحكومة شكلها الاحتلال، فكان له في داخلها عملاء و"صنائع".. إضافة إلى الفقر والإذلال للغالبية الساحقة من الشعب، اللذين تلازما مع تفشي الثراء الفاحش للإقطاعيين والرأسماليين والعملاء والخونة.

لقد أنفق هذا المواطن النبيل على نشاطه ونشاط الحزب الوطني السياسي، كل ما يملك من أمواله الخاصة أو من أموال أسرته.. لقد أنفق محمد فريد ثمن ألف ومائتي فدان.. ورحل غريبا منفيا منسيا، محروما من حقه المشروع في مساحة من تاريخ مصر السياسي تليق بمشواره النضالي والمخلص والنبيل.. رغم أنه بالقطع يستحق تلك المساحة.

٣- د. خلف عبد العظيم الميري: موقف البوليس المصري من ثورة ١٩١٩:

تعتبر هذه الدراسة لحظة مفصلية في مسيرة العمل الوطني ضد الاحتلال، حيث كانت السلطات البريطانية هي التي تتولى المسئولية العليا وإصدار الأوامر وتشكيل المحاكمات العسكرية في وقت بدا فيه رجال الأمن المصري خاضعين لها في إطار العلاقة الوظيفية التي تمثلت في تبعية الوطن ككل. لكن إبان حركات المقاومة والتحرر الوطني تتجلى اللحظات الحاسمة في الاختيار بين الخضوع لسلطة المحتل في الإطار الوظيفي وبين الانحياز إلى الوطن في إطار المقاومة.

على هذا النحو رصدت تلك الورقة الموقف الشائك للبوليس المصري وتحليله قبيل أحداث الثورة وأثنائها، وما جرى بشأنها في المحاكمات إذ يتضح منها وجود الحالتين الوظيفية والوطنية، وتحليل كليهما يوضح إلى حد كبير أسباب ذلك، سواء كان في الانتماءات الاجتماعية أو الطبقية أو التكوين المجتمعي والسياسي.. إلخ.

واعتمد في هذه الدراسة على الوثائق ومحاكمات الثورة والدوريات والمذكرات واليوميات السياسية وغيرها، في محاولة كشف صفحة من صفحات ثورة ١٩١٩ والعمل الوطني.

٤- د. عبد المنعم الجميعي: لجنة ملنر والتفاوض من أجل استقلال مصر:

نظرا لشعور الحكومة البريطانية بنقمة المصريين على سياستها وما تسبب عنها من قيام الثورة؛ فكرت في معالجة الموقف بإرسال لجنة على مصر للتحقيق في الأمر وبحث الوسائل الكفيلة بالتهدئة؛ لذلك أعلنت في ١٥ مايو إيفاد لجنة برئاسة "اللورد ملنر" وزير المستعمرات وتفويضها في تحقيق أسباب الاضطرابات وتقديم تقرير عن أحوال مصر، وما إن أعلن رسميا عن تأليف هذه اللجنة حتى قامت مظاهرات

الاحتجاج عليها وجاهر المصريون بعزمهم على مقاطعتها، واتفقت كلمتهم على أن سعد زغلول المقيم بباريس هو الوكيل الذي أنابه الشعب المصري عنه، والأولى باللجنة مفاوضته بالأمر.

كل ذلك أدى إلى عودة اللجنة إلى لندن دون أن تحقق ما جاءت من أجله، وإبداء رغبتها في مفاوضة الوفد المصري الذي يملك مفتاح التفاهم في أمور البلاد. ونتيجة لذلك كتب ملنر إلى سعد زغلول يدعوه هو والوفد المصري للحضور إلى لندن للتفاوض وبحث القواعد التي يمكن أن تكون أساسا للاتفاق بين مصر وإنجلترا، وقد استجاب الوفد للدعوة وما كاد الطرفان يجتمعان حتى اختلفت نوايا كل طرف عن الآخر، فبينما كان الوفد يحاول المواءمة بين الاستقلال ورعاية المصالح البريطانية كانت غاية الإنجليز من المفاوضات اكتشاف مدى استعداد المصريين لاستبدال الحماية الصريحة بحماية مقنعة تحت اسم عقد تحالف بين البلدين.

٥– د. عماد أبو غازي: ثورة ١٩١٩ والفن:

وقد أكد في ورقته على أن ثورة ١٩١٩ تعتبر علامة فارقة في التاريخ المصري الحديث، فمصر قبل الثورة غيرها بعدها، ليس فقط على المستوى السياسي بل في كل جوانب الحياة، لقد كانت الثورة الحدث الإيجابي الأهم في تطور مصر في القرن العشرين. ولا يختلف مجال الإبداع الفني والأدبي عن غيره من المجالات التي تفاعلت مع الثورة، والتي عبرت عنها وتأثرت بها؛ فبقدر ما ساهمت الأعمال الإبداعية في الحشد للثورة والتعبير عنها وإيصال رسالتها للجماهير، أو اتخذها موضوعا لها في السنوات التالية، بقدر ما كانت التغيرات المجتمعية التي أحدثتها الثورة في مصر دافعا لتطور الإبداع الأدبي والفني.

وقد اختلف التفاعل بين الفن والثورة من نوع فني أو أدبي إلى نوع آخر، فبينما كان تعبير بعض الأنواع عن الثورة ابن اللحظة التاريخية للثورة وحاشدا

للجماهير حولها ووسيلة من وسائل حمل أهداف الثورة إلى النـــاس– أي أداة مـــن أدوات الدعاية الثورية مثلها في ذلك مثل منشورات الثورة– كانت أنواع أخـــرى موثقة للثورة ومسجلة لها من خلال النوع الأدبي أو الفني، عبر اســـتخدام حـــدث الثورة موضوعا للإبداع بعد انتهاء الحدث.

إذا كان الشعر "والموسيقى والغناء" قد واكبا الثورة وعبرا عنها وكانـــا أداة للتحريض الثوري في صفوف الجماهير، فإن الأعمال الروائية المهمة التي اتخذت ثورة ١٩١٩ موضوعا لها كانت في معظمها بعيدة زمنيا عن الحدث، ولعل أجلى التعبيرات الأدبية عن الثورة جاء من خلال "عودة الروح" للحكيم و"قنطـــرة الـــذي كفـــر" لمشرفة، والجزء الأول من ثلاثية محفوظ "السكرية"، أما الفن التشكيلي والذي كانت أجلى تعبيراته عن الثورة تمثال نهضة مصر لمختار فقد جمع بين الخاصـــيتين، ففكـــرة التمثال كانت وليدة اللحظة الثورية وتعبيرا عنها، لكن تنفيذ العمل الذي اســـتغرق ثماني سنوات حتى يستوي كتمثال ميدان في باب الحديد، جعل منه تخليدا لهـــا عـــبر الزمن، كذلك كان تمثالا سعد زغلول في القاهرة والإسكندرية لمختار توثيقا لحـــدث الثورة بعد سنوات على وقوعها.

وتناولت هذه الورقة العلاقة بين الفن والثورة مع التركيز علـــى مجـــالي فـــن الموسيقى والغناء والفن التشكيلي، من خلال أعمال سيد درويش في مجال الموســـيقى والغناء وأعمال مختار في مجال الفن التشكيلي، في محاولة لاستقـــصاء دور الفـــن في الثورة من ناحية وتطوره بتأثيرها من ناحية أخرى.

٦– د. محمد نصر مهنا: ثورة ١٩١٩ في الوثائق البريطانية دراسة نقدية:

وذكر في ورقته أنه يستدل من الوثائق الإنجليزية المودعة بدار المحفوظات العامة بلندن **Public Record Office** والتي تكاد تتفق في روايتها لأحـــداث الثـــورة المصرية مع المصادر المصرية – هذا مع بقاء العوامل الأخرى على حالهـــا– بـــشأن

العقلية الاستعمارية لبريطانيا التي سادها الاستعلاء والاستخفاف بالشعب المصري الذي حركته قياداته صوب الثورة في عزيمة ووعي وإدراك واستنارة.

يحلل المؤرخ المصري ذائع الصيت المرحوم الدكتور/ أحمد عزت عبد الكريم مدى تأثير الوثائق البريطانية في تكوين الوفد المصري وتطور الخلاف بين أعضائه وقيادته وخاصة بين سعد وعدلي وموقف السلطان حسين كامل والسلطان أحمد فؤاد من الحركة الوطنية المصرية، حيث نجد أن الثورة المصرية تستأثر بالاهتمام– بدون شك– كحدثٍ قومي ضخم وخطير في تاريخ مصر الحديث والمعاصر لما لاحقتها وتلاها من تنشيط للحياة السياسية المصرية بقواها الرسمية واللارسمية وحركة التغيير الاجتماعي الفترة الليبرالية في مصر حتى عام ١٩٥٢.

٧– د. حسام عبد المعطي: تطور ونمو فكرة الوحدة الوطنية ١٨٩٠ – ١٩١٩:

ركز في هذه الورقة على فهم العوامل التي ساعدت على نمو فكرة الوحدة الوطنية السياسية، الظروف والملابسات التي تساعد على نمو هذا الشعور الوطني بعيدًا عن الشعارات الجوفاء، وبالتالي يساعدنا هذا الفهم على إعادة طرح العوامل التي تساعدنا على إيجاد مشتركات تنمي لدينا الحس بهذه الوحدة وتطويرها.

لقد ساعدت عدة عوامل على نمو هذه الوحدة وكان على رأسها التعليم المدني، خاصة من خلال مدرستي الحقوق والمعلمين، ثم كانت الجامعة الأهلية قمة التطور، كما ساعدت كتابات الطهطاوي وعلي مبارك وجورجي زيدان وغيرهم من المثقفين عن الوطن والمواطنة، على نمو فكرة الوحدة الوطنية بعيدًا عن العقيدة الدينية، كما لعب التطور النيابي دورًا مهمًا في تشكيل نخب مثقفة أصبحت تشكل فكرًا ليبراليًا حرًا، كما أصبحت لهذه النخب أهداف متقاربة في تشكيل وعي الجماهير بفكرة الوحدة الوطنية، كما كان لانتشار الصحافة دور مهم في نمو أفكار الوطن

المصري، وقد كان لهجرة الشوام المسيحيين إلى مصر وتصدرهم للثقافة والعمل الوطني دور مهم في خلق حالة من القبول العام لدى المسلمين، وكان للحملات التبشيرية الأوروبية التي نجحت في تحويل عدد كبير من المسيحيين المصريين عن عقيدتهم إلى معتقدات غريبة دور مهم في هذا التقارب، كما كان لظهور الأحزاب دور مهم في تبلور تلك الوحدة أيضًا، فقد انضمت شخصيات قبطية عديدة لكل الأحزاب التي تكونت.

وعلى الرغم من أن حادث اغتيال بطرس باشا غالي في ٢١ فبراير ١٩١٠، أرخى بظلاله على العلاقات التي حاول الإنجليز زعزعتها وخلق تفرقة بين قطبي الأمة المصرية على يدي المندوب السامي البريطاني جورست، فقد توصل المثقفون الأقباط في مؤتمرهم الذي عقد في أسيوط إلى نفس النصوص التي توصل لها المثقفون المسلمون في مؤتمرهم الذي عقد في القاهرة، وهو " أن الأمة المصرية كلها من عنصر واحد هم المصريون، بصرف النظر عن اعتقادهم الديني.

إن هذه الورقة تحاول أن تتعرف على: لماذا تمت الوحدة الوطنية السياسية بشكل كبير بين قطبي الأمة المصرية على الرغم من سياسة الاحتلال الإنجليزي الذي سعى للتفرقة بينهما؟، كما تسعى للتعرف على دور سعد زغلول في بناء هذه الوحدة، وكيف ولماذا ظلت ثورة ١٩١٩ رمزاً للوحدة الوطنية؟

٨– أ. د. حمادة إسماعيل: حصاد الثورة:

حيث ذكر أنه لم تكن ثورة ١٩١٩ التي تفجرت على أرض مصر وشكلت وجه الحياة خلال النصف الأول من القرن العشرين وليدة لحظة القبض على سعد زغلول بقدر ما خرجت من رحم المعاناة المصرية منذ الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢، تلك المعاناة التي زادت خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨).

وبقدر قوة الثورة جاءت نتائجها وكان حصادها، أول الحصاد تحريك الساكن أو ذلك النطاق الصخري في العلاقات المصرية البريطانية والذي تمثل في المفاوضات بين سعد وملنر والتي جاءت في أعقاب لجنة ملنر، وهي المفاوضات غير الرسمية بين الطرفين، صحيح إنها انتهت بالفشل – وهو وضع طبيعي – لتباين وجهة نظر الطرفين، غير أنها كانت البداية نحو وضع آلية للتعامل مع الطرف البريطاني والتي تمثلت في سياسة الـ "خطوة خطوة"، أو أخذ وطلب، وكانت البداية أيضًا لسلسلة من المفاوضات المرهقة المضنية والتي انتهت بمعاهدة ١٩٣٦.

في ذات الوقت جاء الصدام بين سعد زغلول وعدلي يكن في أعقاب فشل مفاوضات سعد – ملنر الذي أدى إلى شق الصف الوطني وما ترتب على ذلك من نتائج أضرت كثيرا بالقضية المصرية، وهو ما جعل بريطانيا تقدم على إصدار تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ في أعقاب فشل مفاوضات عدلي – كيرزون في أواخر سنة ١٩٢١.

وفي ذات الوقت جاء صدور دستور ١٩٢٣ ليشكل جانبًا مهمًا من حصاد الثورة الذي تمثل في إصدار قانون الانتخابات وما ترتب على ذلك من إجراء أول انتخابات نيابية في مصر في ظل الدستور، والتي جاءت نتيجتها انتصارًا مدويًا للوفد في مواجهة القوى السياسية القديمة (الحزب الوطني) والقوى السياسية الناشئة (حزب

الأحرار الدستوريين) وكما جاءت شاهدًا على نزاهة حكومة يحيى إبراهيم التي أرادت نجاح العملية الانتخابية، وجاءت هزيمة يحيى إبراهيم في دائرة منيا القمح بمديرية الشرقية شاهدًا على نزاهة الحكومة ورئيسها..

ومن أهم نتائج الثورة ظهور حزب الوفد إلى النور، إلى جانب ما خرج منه من تشكيلات حزبية أخرى مثل الأحرار الدستوريين، والهيمنة السعدية والكتلة الوفدية ليشكل ذلك كله جانبًا مهمًا من حياة مصر الحزبية، والفضل فيه إلى ثورة ١٩١٩.

هكذا جاءت ثورة ١٩١٩ رائدة في حجمها ورائدة في ثمارها، وعليها فقد أفرد لها تاريخنا الحديث والمعاصر مكانة تستحقها...